مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (4) العدد (5) 2020
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (4) No. (5) 2018

أسباب النزاع بين الأميرين يلبغا الناصري ومنطاش وأثره في الدولة المملوكية سنة 791هـ/1389م

د . غادة حسن*

هبة عبود**

(تاريخ الإيداع 6/14 /2020 . قُبِل للنشر في 2020/8/27)

□ ملخّص □

بعد أن نجح تمرد الأمير يلبغا الناصري ومنطاش في خلع الظاهر برقوق عن السلطنة في القاهرة سنة 791هـ/1389م، عاد عصر نفوذ الأمراء من جديد، وغدت السلطنة وظيفة اسمية في هذه الفترة حين أصبح الأمير يلبغا الناصري صاحب النفوذ المطلق في الدولة من خلال منصب الأتابكية، غير أنه لم يقدر لسياسته النجاح خلال المدَّة القصيرة التي سيطر فيها على شؤون الدولة بسبب اندلاع النزاع بينه وبين حليفه الأمير منطاش الأشرفي لعدة أسباب كان أهمها الطمع في الوصول إلى السلطنة، والذي انتهى بهزيمته وتسلم منطاش مقاليد الأمور في الدولة المملوكية.

الكلمات المفتاحية: السلطان الظاهر برقوق ، الأمير يلبغا الناصري، الأمير منطاش، أسباب النزاع.

* أستاذ مساعد – قسم التاريخ – كلية الاداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا.

** طالبة دراسات عليا (دكتوراه)– قسم التاريخ – كلية الاداب والعلوم الانسانية– جامعة تشرين – اللاذقية – سوريا

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (4) العدد (5) 2020
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (4) No. (5) 2018

The causes of the conflict between the two princes Yelbaga Al-Nasiri and Mantash and its effect on the Mamluk state Year 791 AH / 1389AD

Dr. Ghada Hassan [*]
Hiba Aboud [**]

(Received 14/6/2020. Accepted 27/8/2020)

□ ABSTRACT □

After the rebellion of Prince Yalbaga Al-Nasiri and Mantash succeeded in deposing Al-Zahir Barquq from the Sultanate in Cairo in 791 AH / 1389 AD, the era of the princes' influence came back again, and the Sultanate became a nominal function during this period when Prince Yalbogha Al-Nasiri became the owner of absolute influence in the state through the position of the Atabic, However, he was unable to succeed in his policy during the short period in which he controlled state affairs due to the outbreak of conflict between him and his ally Prince Mantash Al-Ashrafi for several reasons, the most important of which was the greed to reach the Sultanate, which ended in his defeat and Mantash took over the reins of affairs in the Mamluk state

Key words: Sultan Zahir Barquq, Prince Yalbugha al-Nasiri, Prince Mantash, causes of conflict.

[*]Assistant professor, Department of History, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University Lattakia, Syria
[**] Postgraduite Student, Department of History , Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria

مقدمة

شهدت مصر وبلاد الشام في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، الكثير من الفتن والمؤامرات الداخلية التي تحركها الأطماع الشخصية للأمراء من أجل تولي عرش السلطنة، إلا أن هذه الفتن والتمردات في العصر المملوكي اتخذت طابع الصراع العرقي بين المماليك الأتراك و المماليك الجراكسة من أجل السيطرة على السلطنة المملوكية لاسيما في سلطنة الظاهر برقوق الأولى(784-791هـ/1382-1389م) حين تمكن أحد هذه التمردات بقيادة الأمير يلبغا الناصري والأمير منطاش من خلعه عن السلطنة سنة 791هـ/1389م.

بعد أن بانت لوائح النصر على جيش يلبغا ومنطاش الذي تقدما به نجو القاهرة، لم يبق أمام الظاهر برقوق سوى الاستسلام وطلب الأمان؛ وبالفعل هذا ما حدث عندما أرسل إلى يلبغا يطلب الصلح، فرد عليه يلبغا رداً كريما بقوله "الملك الظاهر برقوق أخونا وخوشداشنا، ولكنه يختفي بمكان إلى أن تخمد الفتنة، فإن كل واحد له رأي وكلام حتى ندبر له أمراً يكون فيه نجاته"[1].

يبدو من كلام يلبغا أنه لم يشأ أن يقتل برقوق إنما أراد إبقاءه على قيد الحياة والتخفي حتى تهدأ الأوضاع والإضرابات في القاهرة، لذلك سارع برقوق بمغادرة قلعة الجبل ليدخلها الأمير يلبغا الناصري ومنطاش ، ومع دخولهم القاهرة بدأت تعاني أشد أنواع الاضطرابات وخصوصا السلب والنهب التي تعرضت له على يد أصحاب يلبغا من الترك والتركمان الذين هجموا على بيوت الأمراء وبيوت الناس في القاهرة، وعندما كثر اعتدائهم وأخافتهم للناس تأسفت العامة على اختفاء الظاهر برقوق بقولهم" راح برقوق وغزلانه، وجاء الناصري وثيرانه"[2] دلالة عل سوء سياسة الأمير يلبغا الناصري، وفساد تدبيره، هذه السياسة حملت في ثناياها العوامل التي عجلت بالنزاع بينه وبين حليفه منطاش.

أهمية البحث وأهدافه

تأتي أهمية هذا البحث من خلال محاولته رصد العوامل التي أدت إلى الانقسام بين صفوف الترك اليلبغاوية والأشرفية، وقيام النزاع والخلاف بينهم متمثلاً بالأمير يلبغا الناصري والأمير منطاش الأشرفي والذي انتهى بانتصار منطاش على غريمه يلبغا، وتوضيح تأثير هذه العوامل على الدولة المملوكية، جميع هذه الأحداث بحاجة للدراسة ولا غنى عنها لفهم حقيقة الأوضاع في تلك المرحلة.

منهجية البحث

سيعتمد البحث على المنهج التحليلي، وذلك بجمع المادة العلمية المطلوبة من مختلف المصادر والمراجع والمقالات المتعلقة بالموضوع، وتحليلها ومقارنتها بما يماثلها من الكتابات، للخروج بفكرة تقودني للوصول إلى الحقيقة العلمية التاريخية، وسيستند البحث إلى مصادر ومراجع مهمة ومتنوعة لمؤرخين عاصروا الأحداث.

---

[1] ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى زيادة، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1975م، ج1، ق2، ص273.

[2] المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1936م، ج3، ق2، ص627.

1- خلع الظاهر برقوق عن العرش سنة 791هـ/1389م:

عقد الأمير يلبغا الناصري[1] اجتماعاً ضم أُمراءه وأعيانه والخليفة والقضاة للتشاور في مصير السلطنة بعد انتصارهم على برقوق، فأشار بعض الحاضرين إلى أن يلبغا هو الشخص المناسب لهذا المنصب لدوره الفعال في القضاء على سلطنة برقوق كونه قائد التمرد الكبير وصاحب النفوذ، لكن أحس يلبغا بمعارضة عدد من الأمراء الأتراك الأشرفية القادمين من الشام وعلى رأسهم منطاش[2]، وكثرة المماليك الجراكسة ومعارضتهم، بالإضافة إلى الفوضى التي تعيشها البلاد بسبب فساد التركمان وانتشار الطاعون، ولذلك نجده تراجع عن السلطنة وأبدى نوعا من الحكمة باختيار السلطان حاجي بن الأشرف شعبان[3] المخلوع بحجة أن الظاهر برقوق عزله من السلطة بغير حق، وهو الأحق بها بصفته فرداً من آل قلاوون، فاستدعوه وولوه السلطنة سنة 791هـ/1389م[4].

بعودة السلطان حاجي إلى العرش أصبح يلبغا أتابكاً[5] للعسكر في الدولة المملوكية، أي عودة عصر نفوذ الأمراء من جديد، وغدت السلطنة وظيفة اسمية في هذه الفترة حين أصبح يلبغا صاحب النفوذ المطلق في الدولة، غير أنه اتبع سياسة غير ناجحة في أغلب الأحيان منذ اللحظات الأولى لتوليه الأتابكية وهي:

1- أمر بإعادة جميع المكوس التي أبطلها الظاهر برقوق الأمر الذي كان له أسوأ الأثر في نفوس العامة[1].

---

[1] الأمير يلبغا الناصري اليلبغاوي الأتابكي: هو مملوك يلبغا العمري، تولى ولاية طرابلس واستمر بها حتى سنة 781هـ/1389م حيث اتفق برقوق وخوشداشه بركه على إعادة يلبغا إلى القاهرة واستقر أمير سلاح، وفي أثناء الصراع بين برقوق وبركه انضم يلبغا الناصري بمماليكه الى جانب بركه عندما بدأت المعركة بين الأتراك و الجراكسة، وبعد الهزيمة التي لحقت بالأتراك عزل برقوق الأمير يلبغا الناصري وسجنه وقبض على مماليكه ووزع إقطاعاتهم على المماليك الجراكسة، لكن سرعان ما أفرج عنه برقوق وأخرجه الى دمشق، ثم ولاه نيابة حلب ليعلن التمرد من هناك ضد الظاهر برقوق بالتعاون مع منطاش سنة 791هـ/1389م، وقتل يلبغا الناصري خلال سلطنة برقوق الثانية سنة 793هـ/1391م. انظر سليم(محمود رزق)، عصر سلاطين المماليك ونتاجهم العلمي والأدبي، المطبعة النموذجية، مصر، ط2، 1962، ص133.

[2] الأمير تمربغا الأفضلي المعروف بمنطاش، من مماليك الأشرف شعبان بن حسين، نفي إلى بلاد الشام بعد مقتل الأشرف شعبان، وبقي بها حتى تسلطن برقوق وطلبه مع مماليك الأشرف شعبان إلى القاهرة، فاشتراه وأعتقه وولاه نيابة ملطية سنة 788هـ/1386م، لكن سرعان ما أعلن التمرد على الظاهر برقوق واتفق مع يلبغا الناصري وتمكنوا من خلع الظاهر عن السلطنة سنة 791هـ/1389م، انظر ابن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد أمين، تق: سعيد عاشور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1984م ، ج4، ص94.

[3] السلطان حاجي بن الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، تولى السلطنة بعد أخيه المنصور علي وعمره آنذاك حوالي عشر سنوات، لقب بالصالح، بقي في السلطنة حتى خلعه برقوق سنة 784هـ/1382م، ثم أعيد للحكم سنة 791هـ/1388م وخلعه برقوق ثانية وتوفي سنة 814هـ/1411م. انظر السخاوي (شمس الدين محمد)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجبل، بيروت، د.ط، ج3، ص87، انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي ، ج5، ص48.

[4] المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص623، ا ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تح: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط ، 1992م، ج11، ص262.

[5] الأتابك: معناه الوالد الأمير أو مربي الأمير، وهو أعلى رتبة في الجيش المملوكي، وأول من تلقب بهذا اللقب كان نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة، انظر دهمان(محمد أحمد)، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت، دمشق، ط1، 1990م، ص11.

2- نادى بأمان الجراكسة وإن من ظهر من المماليك الظاهرية" مماليك الظاهر برقوق" فهو باق على إقطاعه ومن تخفى بعد هذا النداء حل ماله ودمه للسلطان، وذكر ابن تغري بردي بأن الأتابك يلبغا نادى بالقاهرة على المماليك الظاهرية ليخرجوا من القاهرة ويخدمون عند نواب البلاد الشامية ومن تأخر عن النداء قتل، ولم يكن هذا النداء سوى وسيلة للقبض على عدد كبير منهم وسجنهم وتوزيعهم على أمراء الشام[2].

3- الإفراج عن الأمراء الأتراك المعتقلين في سجن الإسكندرية منهم الأمير الطنبغا الجوباني[3]" نائب دمشق" سابقاً، والأمير الطنبغا المعلم أمير سلاح.[4]

4- قبض على أمراء الظاهر برقوق الذين كانوا يتولون مناصب مهمة في سلطنة برقوق كالأمير سودون الفخري الشيخوني[5] نائب السلطنة والأمير سيف الدين قجماس الصالحي ابن عم الظاهر برقوق وغيرهم كثر[6].

5- أمر بالمناداة في القاهرة على الظاهر برقوق " أي من أحضره، إن كان جندياً أعطيناه إمرة عشرة، وإن كان أمير عشرة أعطيناه إمرة طبلخاناه، وإن كان طبلخاناه أعطيناه تقدمة، ومن أخفاه أو ظهر عنده بعد هذا الكلام راحت روحه ونهبت دياره"[7].

---

[1] الصيرفي(علي بن داود)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تح: حسن حبشي، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، 1970م، ج1، ص217، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص624، طقوش (محمد سهيل)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص365.

[2] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص624، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص270، ابن خلدون (عبد الرحمن)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 2000م، ج5، ص551.

[3] الأمير علاء الدين الطنبغا بن عبدالله الجوباني اليلبغاوي، أصله من قبائل الترك من مماليك يلبغا العمري الخاصكي، بعد مقتل يلبغا نفي إلى الكرك ثم توجه بعدها إلى الشام، وفي سلطنة الظاهر برقوق الأولى جعله أمير مجلسه وبعدها تولى نيابة الشام حتى قبض عليه وتوفي سنة 793هـ/1389م. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج3، ص52، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص542، ابن حجر العسقلاني(شهاب الدين أحمد): أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت ،1986م، ج1، ص348.

[4] ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تح: سعيد عاشور، مر: أحمد دراج، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1982م، ص470، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص621، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص218.

[5]الأمير سودون بن عبد الله الشيخوني الفخري نائب السلطنة في الدولة المملوكية، واستمر الأمير سودون في هذه النيابة سنين طويلة لايخرج الظاهر برقوق عن رأيه حتى تم عزل الظاهر برقوق عن سلطنته الأولى، وفي سلطنته الثانية رجع إلى نيابة السلطنة وبقي فيها حتى توفي سنة 798هـ/1396م. انظر ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص104، ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج1، ص17.

[6] ذكرت المصادر المملوكية أن الأتابك يلبغا الناصري قبض على تسعة من الأمراء المقدمين منهم سودون الشيخوني نائب السلطنة، والأمير قجماس الصالحي، والأمير آقبغا الماريديني حاجب الحجاب، وبجاس النوروزي ومحمود الأستدار، وعلى عدة من أمراء الطبلخاناه وأمراء العشرات. انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص624، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص218، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص264.

[7] ابن صصري (محمد بن محمد)، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق: وليم م. بريتر، جامعة كاليفورنيا، 1963م، ص19، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص627، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص220، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص266.

يبدو أن يلبغا خشي من اندلاع ثورات داخلية بسبب اختفاء برقوق لذلك جد في البحث عنه والمناداة عليه في القاهرة، وإعلان المكافآت العديدة والثمينة لمن يعثر على برقوق، وقد أثمرت جهوده هذه بالقبض على الظاهر برقوق[1].

وهنا تختلف الروايات المملوكية في كيفية إلقاء القبض على الظاهر برقوق، فالمؤرخ ابن صصري يورد أن أحد المماليك الذين يعملون لدى خياط يدعى أبو يزيد أبلغ الأتابك يلبغا الناصري أن الظاهر برقوق متخفٍ عند أستاذه الخياط "ياخوند السلطان عند أستاذي أبي يزيد مختفي"[2]، أما المقريزي وابن تغري بردي فقد أوردوا أن أبا يزيد هذا كان من أمراء العشروات وتخفى عنده الظاهر برقوق بعد خروجه من الإسطبل السلطاني، وبعد أن كثر البحث عن الظاهر برقوق خاف برقوق أن يؤخذ بالقوة، فأعلم الأمير الطنبغا الجوباني بمكانه[3]، بينما روى الصيرفي أن أبا يزيد هذا هو الذي أخبر الناصري أن الظاهر برقوق متخفٍ عنده بسبب خوفه على نفسه[4].

ومهما يكن فقد توجه الأمير الطنبغا الجوباني إلى مكان برقوق وأحضره إلى الأتابك يلبغا الناصري في قلعة الجبل الذي بدوره قام بعقد اجتماع لتقرير مصير برقوق سنة791هـ/1389م، وفي الاجتماع انقسم المجتمعون إلى فريقين: فريق بزعامة منطاش وهم الأكثرية يريدون التخلص من برقوق عن طريق القتل، وفريق ثانٍ بزعامة الأمير الطنبغا الجوباني ومن وراءه يلبغا الناصري يؤيدون سجن الظاهر برقوق دون قتله، فمال يلبغا إلى رأي الفريق الثاني الذي يؤيد سجن الملك الظاهر، ويروي ابن خلدون في هذا الأمر أن الأمراء بعد عزل الظاهر برقوق أخذوا يتشاورون في مكان سجن الظاهر، فمنهم من اقترح سجن الإسكندرية أو قوص أو سجن الكرك، ولكن يلبغا الناصري قد اختار توجه الظاهر برقوق إلى سجن الكرك[5]، وهنا السؤال الذي يتبادر إلى الأذهان، ما الأسباب التي دفعت الأتابك يلبغا الناصري إلى إبقاء برقوق على قيد الحياة دون قتله؟ ولماذا اختير سجن الكرك بالتحديد؟

للوهلة الأولى فإن المتتبع لمجرى الأحداث يتوقع كما هي عادة الفتن والحروب والتمردات، فإن زعيم التمرد يتخلص من السلطان أو الحاكم عند نجاح تمرده لكي لا يقف عائقاً في طريقه، ولكن الذي حدث هنا مختلف عن المعتاد، فإننا نجد أن يلبغا قد حرص كل الحرص على عدم قتل برقوق؛ إن كان منذ طلبه للأمان ومنحه إياه والتخفي حتى لحظة العثور عليه وتقرير مصيره، والسبب في ذلك يعود لعدة أمور: أولها أن الظاهر

---

[1] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص627، العيني (بدر الدين محمود)، السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تح: إيمان عمر شكرى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2002م، ص78.

[2] ابن صصري، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص19.

[3] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص629، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص267، لابد من الإشارة هنا إلى أن سبب إرسال الأتابك يلبغا للأمير الطنبغا الجوباني لإحضار برقوق هو ثقة يلبغا بالطنبغا بأنه لن يؤذي برقوق لما كان بينهم من علاقة طيبة قبل اعتقال الطنبغا في أواخر سلطنة برقوق الأولى.

[4] الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص222.

[5] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص268، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص78، ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج1، ص370، عبد السيد(حكيم أمين)، قيام دولة المماليك الثانية، تقديم: محمد مصطفى زيادة، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1966م، ص79.

برقوق خلال أتابكيته وخلال سلطنته الأولى قام بسجن يلبغا عدة مرات، وفي كل مرة كان يطلق سراحه ويعيده إلى وظيفته من دون قتله، برغم أخطائه المتكررة[1].

أما السبب الثاني فهو تخوف الأتابك يلبغا الناصري من انتقام المماليك والأمراء الجراكسة لسيدهم في حال قتله كونه أول سلطان يمثلهم من سلاطين الجراكسة، بينما السبب الثالث فيعود إلى أن يلبغا أحس بخطورة منطاش ومنافسته له لذلك أراد إبقاء برقوق على قيد الحياة لكي يبقى عائقاً أمام منطاش في حال فكر بالتمرد عليه، الأمر الذي دفع يلبغا إلى توصية نائب الكرك بأن يفرج عن برقوق في حال فكر منطاش بالثورة.

أما سبب اختيار سجن الكرك سجناً للظاهر برقوق بعد خلعه فيعود لعدة أسباب منها أن الأتابك يلبغا الناصري لم يرغب بسجن برقوق في سجن الإسكندرية خشية من وصول يد منطاش إليه في الاسكندرية كونها قريبة من القاهرة، كذلك الأمر بالنسبة إلى سجن قوص، أي أن يلبغا الناصري أراد سجنه خارج مصر وليس هناك مكان لسجنه أفضل من سجن الكرك كونها كانت طوال العصر المملوكي سجنا أو منفى للسلاطين المخلوعين من القاهرة، أضف إلى ذلك فإنه كان يرسل إلى سجن الكرك من يخشونهم نظرا لحصانة قلعة الكرك وبعدها النسبي عن القاهرة ودمشق مركز الثورات على السلطان.

2- أسباب النزاع بين يلبغا ومنطاش:

أضحت السيادة في دولة المماليك بعد عزل الظاهر برقوق بيد الأمير يلبغا الناصري الذي تولى الأتابكية، والأمير منطاش الذي أصبح أمير مجلس[2]، بعد أن اتفقا أن يكونا قوة واحدة ويتولى المنصور الحكم بنفسه من دون تدخل من أحد الطرفين، لكن الأتابك يلبغا لم يلتزم بما تم الاتفاق عليه، ولم يكن للسلطان المنصور من السلطة سوى اسمها، وقد أكد هذا الأمر المقريزي الذي ذكر أن السلطان المنصور قد أخلع على شخص وعمله خياط السلطان، فطلبه الأمير يلبغا الناصري وأخذ منه الخلعة وضربه ضرباً مبرحاً، فشق ذلك على المنصور وقال:" إذا لم ينفذ مرسومي في خياط، فما هذه السلطنة؟"[3].

ظن الأتابك يلبغا الناصري أن الدهر قد صفا له وأن ميدان المنافسة قد خلا من المنافسين، غير أن الظروف أثبتت عكس ذلك، إذ سرعان ما بدأ الخلاف بينه وبين منطاش يظهر بسبب سياسته غير الناجحة وفساد تدبيره منذ اللحظة الأولى لإلقاء القبض على الظاهر برقوق، حين نادى منطاش بقتله بينما رأى يلبغا الاكتفاء بسجنه. هذه كانت

---

[1] من الأخطاء المتكررة التي ارتكبها الأمير يلبغا الناصري والتي استدعت من الظاهر برقوق سجنه أكثر من مرة أنه عندما نشب القتال بين الأتابك برقوق الجركسي وخوشداشه بركه التركي وقف يلبغا إلى جانب بركه في القتال كونه تركي، وكان ردة فعل برقوق على هذا أن سجنه ثم أطلق سراحه، كذلك قام برقوق بسجن الأمير يلبغا مرة ثانية في أثناء سلطنته والسبب هذه المرة يعود إلى سنة 787هـ/1385م عندما جاء سولي بن قراجا بن دلغادر التركماني وهو من أعداء الدولة المملوكية إلى حلب طائعاً أثناء نيابة يلبغا على حلب، فأبقاه يلبغا لديه ريثما تصل أوامر السلطان بخصوصه والتي جاءت بالقبض عليه وارساله إلى القاهرة مقيداً ، لكن يلبغا وجد في هذا الأمر إن تم سوف يؤدي إلى هدوء أحوال بلاد الشام، وتوطيد نفوذ برقوق، وبالتالي تفرغه لمواجهة الأتراك الأشرفية والتخلص منهم، لذلك دبر الأمير يلبغا الناصري هروب سولي ليلاً من حلب، فما كان من هذه الأخبار إلا أن تصل إلى الظاهر برقوق الذي اتهم يلبغا بالتواطئ مع أعدائه، لذلك أمر بعزله من نيابة حلب وسجنه في الإسكندريه، انظر المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص531، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص146، 148، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ص 532، عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، ص52.

[2] أمير مجلس: هو الأمير الذي يتولى أمر مجلس السلطان وتنظيمه، انظر القلقشندي (أبي العباس أحمد)، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1922م، ج4، ص18.

[3] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص638، ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج1، ص372، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص273.

الشرارة الأولى، وسرعان ما توالت الشرارات لعدة عوامل منها بحسب رواية منطاش أن يلبغا خان العهود والأمان وأنه حلف له في سيواس وحلب والشام بأن يكونا شيئاً واحداً، وبأن لا يتدخل أحد منهم بحكم السلطان، لكن فعل يلبغا العكس عندما منع السلطان من الحكم والتصرف في شوؤن السلطنة[1].

كذلك استبد يلبغا بالنفوذ دون منطاش حين أقام هو في قلعة الجبل بينما أقام منطاش في جامع السلطان حسن، وتارة يدفع يلبغا منطاش لقتال العربان بالشرقية وتارة لغير ذلك، بالإضافة إلى سياسته التي تقوم على رفع شأن أمرائه وأتباعه اليلبغاوية دون أتباع منطاش الأشرفية، وذلك حين فرغت الإقطاعات من المماليك الجراكسة، قام يلبغا بتوزيعها على مماليكه وخاصة الإقطاعات الجيدة في الوقت الذي أبعد حليفه منطاش وأتباعه ولم يعطهم من الإقطاعات إلا الأقل شأناً[2]، وبهذا الأجراء وقع الناصري بنفس الخطأ الذي وقع فيه السلطان برقوق عندما قرب أبناء جنسه وأبعد الأتراك الأشرفية[3].

وثمة سبب آخر جعل منطاش يحقد على يلبغا ويقسم ألا يرجع عنه هو شعور منطاش بالغيرة عندما أعطاه من المال مئة ألف درهم وأخذ يلبغا مالايحصر من الأموال، كل هذه الأسباب والأمور دفعت منطاش للتفكير بالتمرد على يلبغا الناصري؛ وخاصة بعد سعي الناصري إلى تحويل أنظار العامة إليه واستعطافهم وكسب ودهم، حين أمر بأن ينادي في القاهرة "بأن من ظلم أو غبن، أو قهر في مدة عشرين سنة فعليه بباب الأمير الكبير[4]، أو حاجب الحجاب حتى يأخذ حقه"، فكان هذا النداء من الوسائل المؤكدة للوصول إلى محبة الشعب. ويعلق الصيرفي على هذا النداء بقوله" فليت شعرى ما يحتاج إلى عشرين سنة، بل الظلم والقهر الذي حصل على مصر وأهلها بقدومك يكفيهم!!!"[5].

3- أحداث النزاع وأثره في الدولة المملوكية:

بدأت بوادر النزاع بين يلبغا ومنطاش سنة 791هـ/1389م بلجوء منطاش للحيلة حين ادعى المرض وتأخر عن الخدمة، لكن الأمر لم ينطل على الأتابك يلبغا الذي أدرك نية منطاش بالتمرد، فلم يتوجه بنفسه إليه ليطمئن على حاله بل أرسل عوضا عنه الأمير الطنبغا الجوباني وبالفعل حدث مثلما توقع يلبغا إذ سرعان مافكر الطنبغا بالخروج من عند منطاش بعد أن اطمئن على حاله حتى أمر منطاش مماليكه بالقبض على

---

[1] الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص238، فوجو (محمد أحمد محمد)، طرائق وأساليب المماليك في القضاء على الثورات في مصر وبلاد الشام(648-923هـ/1250-1517م)، رسالة ماجستير، إشراف: د. غسان محمود أحمد وشاح، الجامعة الاسلامية، غزة، فلسطين، 2018م، ص31.

[2] وفي هذا الصدد يروي الصيرفي عن لسان منطاش قوله: "وخرج أحسن الاقطاعات وأضافها لنفسه وأعطاني أحقرها، وهو أن أقطاعي ستمئة ألف درهم في السنة وهو إقطاعه قدر ذلك عشر مرار". الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص238.

[3] طرخان (ابراهيم)، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1960م، ص20، عمر (علي)، دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط1، 2008، ص33.

[4] يقصد هنا "بالأمير الكبير " هو أتابك العسكر يلبغا الناصري.

[5] الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص238، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص 636، عبد العظيم (إيمان مصطفى)، العوام والسلطة الحاكمة في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، (784-923هـ/1382-1517م)، المجلة التاريخية المصرية، مصر، العدد خمسون، 2016م، ص168.

الطنبغا، وتوجه هو وأصحابه إلى باب السلسلة فأخذ ما وجد من الخيول التي تقف هناك، وأراد مداهمة الناصري على حين غفله، لكن أصحاب الناصري منعوه من ذلك ورموا عليه فعاد بالخيول إلى داره[1].

أخذ منطاش يجمع عناصره ويوحد صفوفهم لمواجهة الناصري وأصحابه، فوجد بالجراكسة خير حليف له وبالمقابل أبدى الجراكسة الموافقة على تقديم المساعدة له لسببين: أولهما وعود منطاش لهم بإطلاق سراح سيدهم وسلطانهم الظاهر برقوق الجركسي المخلوع من الكرك، أما السبب الثاني فبالأحرى انتقاما من الناصري الذي قتل أكثر أصحابهم وشرد الباقين منهم[2]، فرغم الأمان الذي منحه يلبغا للمماليك الجراكسة إلا أنه جرت حركة اعتقالات واسعة لكبار الأمراء ونفي بعضهم إلى بلاد الشام، وهدد بشنق كل من بقي بالقاهرة إلا من يكون قد عين لخدمة السلطان أو الأمراء، وهنا نستطيع القول إن يلبغا قد ارتكب الخطأ نفسه الذي ارتكبه برقوق فيما مضى عندما نفى المماليك الأتراك الأشرفية المعارضين لحكمه إلى بلاد الشام وبالتالي تجمعوا مع بعضهم فيها وثاروا ضده مع منطاش ويلبغا، وهذا ماسوف يتكرر مع يلبغا الناصري حين نفى الجراكسة إلى بلاد الشام فإنه قد جمعهم مع بعضهم ليكونوا عوناً للظاهر برقوق في أثناء استعادة عرشه[3].

إزاء هذه الأحداث أمر الأتابك يلبغا الناصري والي القاهرة حسام الدين بن الكوراني[4] بالمناداة على العامة بنهب مماليك منطاش والقبض على من قدروا عليه وإحضارهم إليه، غير أن الأحداث لم تسر كما أراد يلبغا، فرغم نداء والي القاهرة بنهب مماليك منطاش والقبض عليهم، وبرغم إغلاقه أبواب القاهرة لجمعهم، فإنه اضطر إلى الاختفاء حين شعر بضعف موقف الناصري عندما تمكن مماليك منطاش من التغلب على العامة، وما إن أعلن يلبغا الحرب حتى تلاحقت المماليك الأتراك الأشرفية والمماليك الظاهرية بمنطاش حيث أكد كل من الصيرفي والمقريزي أن عدد أتباع منطاش بلغوا حينذاك حوالي خمسمئة فارس بعد أن كان مجموع من داهم باب السلسة حوالي سبعين فارساً، الأمر الذي يدل على مدى تأثر انضمام المماليك الظاهرية إلى جانب منطاش ودورهم في انتصاره على غريمه يلبغا، من دون الحصول على مرادهم ومسعاهم في إنقاذ أستاذهم الظاهر برقوق من الأسر في الكرك كما وعدهم منطاش في حال الانضمام إلى جانبه[5].

شغلت الخيانة دوراً كبيراً في هزيمة الناصري عندما انسحب كثير من الأمراء وانضموا لمنطاش، الذي لم يكتف بمن تجمع حوله من أولئك الجراكسة، بل أراد تقوية شوكته بانضمام العامة إليه من سكان القاهرة، الذين لعبوا دوراً مهماً

---

[1] ابن صصري، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص24، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص552، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص274، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص234، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص87، الرشيدي(خالد ابراهيم خنفر)، حركات التمرد والعصيان في عصر دولة المماليك الشراكسة، رسالة ماجستير، إشراف: د. أنور الخالدي، جامعة آل البيت، المملكة العربية السعودية، 2017م، ص104.

[2] قاسم (عبده قاسم)، علي(علي السيد)، الأيوبيين والمماليك، التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، د.ت، ص301، بخيت(فائز علي)، النزاع على السلطة بين المماليك الأتراك والجراكسة، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الموصل، المجلد3، العدد5، 2009م، ص98.

[3] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص 615، 624، 634، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ص320، 326، ابن صصري، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، ص20.

[4] حسام الدين بن الكوراني: أحد أمراء الطبلخاناة، تولى منصب ولاية القاهرة، ومات مخنوقاً في خزانة شمايل سنة 793هـ/1390م. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص123.

[5] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص 642، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص236، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص87

في الحرب بينه وبين يلبغا، فأخذ يغريهم ويتقرب إليهم عن طريق توزيع الذهب عليهم حتى تعصبوا له و تزاحموا على التقاط النشاب الذي يرمى به أصحاب الناصري على منطاش وأتوا به، وفي هذا يروي المقريزي أنهم "بالغوا في المخاطرة معه، حتى كان الواحد منهم يثبت في الهواء ويختطف السهم وهو مار، ويأتي به إلى منطاش"[1]

عندما رأى الناصري ضعف مركزه بعد أن قل أنصاره بعث الخليفة المتوكل على الله العباسي إلى منطاش من أجل الصلح حتى تخمد الفتنة بينهما، لكن منطاش رفض قائلاً أنا في طاعة السلطان والأمراء أخوتي وغريمي هو الناصري، وقد حلف لي أن نكون شيئاً واحدا والسلطان يحكم بما يشاء، لكنه بعد النصر استبد بالأمر، وحين لم تُجدِ محاولات الخليفة المتوكل إقناع منطاش بالعدول عن محاربة الناصري استمر الاشتباك بين الفريقين، واستطاع منطاش بمن تجمع حوله من هزيمة أتباع الأتابك يلبغا الناصري وخاصة بعد أن استمال والي القاهرة الكوراني الذي رأى إدبار أمر يلبغا، فأخذ بجمع النشاب ونادى بالقاهرة بالأمان والدعاء للأمير منطاش، وليزيد منطاش من استقطاب العامة إليه نادى بأبطال المكوس ويروي ابن قاضي شهبه في تاريخه أن "أكثر العوام مع منطاش وكان يخدعهم ويترقق لهم بالكلام"[2]، فقاتلت العامة معه قتالا كثيرا، ويؤكد الأمر المقريزي وابن الفرات بقولهم إنه عندما يلقون القبض على مملوك يسألونه "ناصري أم منطاشي " فإن قال ناصري انزلوه عن فرسه، وسلبوه قماشه وسلاحه وقتلوه أو سلبوه وأتوا به إلى منطاش، وإن قال منطاشي حملوه إلى منطاش[3].

بعد هزيمة الناصري وأتباعه تتبع منطاش ومماليكه الأمير يلبغا الناصري، لكنه تمكن من الاختفاء في الوقت الذي استولى فيه منطاش على الاصطبل السلطاني، واجتمع بالسلطان المنصور وأظهر له الطاعة ليجعله مكان الأمير يلبغا الناصري في أتابكية العسكر، وسرعان ماتمكن منطاش من القبض على يلبغا وسجنه في قاعة الفضة[4] في قلعة الجبل ثم إرساله إلى سجن الإسكندرية[5].

الخاتمة

استنادا إلى الأحداث السابقة يمكن القول إن الاشتباك بين صفوف الترك اليلبغاوية والأشرفية كان أمرا واقعا لا مفر منه كون الطمع بالسلطة والعرش طموح كل مملوك ومن الطبيعي أن تكون هذه النزعة لدى

---

[1] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص643، طراخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص21.

[2] ابن قاضي شهبه(تقي الدين أبي بكر بن قاضي شهبه الأسدي)، تاريخ ابن قاضي شهبه، تحقيق: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط1، 1977م، ج3، ص283.

[3] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص646، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص279، العيني، عقد الجمان، السلطان برقوق، ص79، الرشيدي، حركات التمرد والعصيان في عصر دولة المماليك الشراكسة، ص105.

[4] أشار ابن إياس والصيرفي إلى قاعتي النحاس والفضة حين شرحا الأحداث السياسية بعد اختلاف يلبغا الناصري ومنطاش، حيث أشارا إلى سجن يلبغا على يد منطاش ثم تطرقا إلى حادثة سجن الظاهر برقوق وقد كانت إشاراتهما متضاربة فقد ذكر ابن اياس أن منطاش قبض على يلبغا الناصري وسجنه في قاعة النحاس بقلعة الجبل، وهي نفسها التي سجن فيها برقوق قبل نقله لسجن قلعة الكرك، وذكر الصيرفي أن منطاش سجن يلبغا في قاعة الفضة وهي نفسها القاعة التي سجن فيها برقوق على يد يلبغا، ان الاختلاف هنا مزدوج وهو أن ابن اياس خص قاعة النحاس كمكان لسجن يلبغا وقبله برقوق، والصيرفي خص قاعة الفضة بسجن الاثنين، كما ذكر كل من المقريزي وابن خلدون أن القاعة الأخيرة هي المكان الذي سجن فيه برقوق. انظر ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق2، ص412 ، الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج1، ص269، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ق2، ص630، ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج5، ص551.

[5] ابن قاضي شهبه، تاريخ ابن قاضي شهبه، ج3، ص283، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص287.

منطاش لدوره الكبير في التمرد الذي نجح بخلع الظاهر برقوق عن سلطنته، لكن الأحداث اللاحقة تثبت لنا بشكل كبير مدى فداحة الخطأ الذي وقع فيه يلبغا، والذي لا يوجد مبرر له سوى خوفه من فقدان السلطة، فيلبغا عندما عزل برقوق لم يقم بقتله مثل أي زعيم للتمرد والثورة بل أبقاه على قيد الحياة وسجنه في الكرك، من أجل هذه اللحظة الذي كان يتوقع حدوثها بشكل أو بآخر والدليل على ذلك هو وصايته لنائب الكرك بإطلاق سراح برقوق إذ ما فكر منطاش بالتمرد، ولكن يبدو أن يلبغا لم يستفد من هذه الفرصة فكانت سبباً في هزيمته، خاصة فإن إبقاء برقوق في السجن جعله يواجه عدوان في آن واحد الأتراك الأشرفية من جهة والمماليك الجراكسة من جهة أخرى.

المراجع

1. ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي)، *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، تح: محمد مصطفى زيادة، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1975م.
2. ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن)، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، تح: محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط ، 1992م.
3. ابن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف)، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تح: محمد أمين، تق: سعيد عاشور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط1، 1984م.
4. ابن خلدون (عبد الرحمن)، *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، تح: خليل شحادة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 2000م.
5. ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي)، *الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين*، تح: سعيد عاشور، مر: أحمد دراج، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1982م.
6. ابن صصري (محمد بن محمد)، *الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية*، تحقيق: وليم م. برينر، جامعة كاليفورنيا، 1963م.
7. ابن قاضي شهبه(تقي الدين أبي بكر بن قاضي شهبه الأسدي)، *تاريخ ابن قاضي شهبه*، تحقيق: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ط1، 1977م.
8. السخاوي (شمس الدين محمد)، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، دار الجبل، بيروت، د.ط.
9. الصيرفي(علي بن داود)، *نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان*، تح: حسن حبشي، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط1، 1970م.
10. العيني (بدر الدين محمود)، *السلطان برقوق مؤسس دولة المماليك الجراكسة من خلال مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، تح: إيمان عمر شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2002م.
11. القلقشندي (أبي العباس أحمد)، *صبح الأعشى في كتابة الإنشا*، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1922م.
12. المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تح: محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط1، 1936م.

قائمة المراجع:

1. بخيت(فائز علي)، *النزاع على السلطة بين المماليك الأتراك والجراكسة*، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الموصل، المجلد3، العدد5، 2009م.

2. دهمان(محمد أحمد)، *معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي*، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت، دمشق، ط1، 1990م.

3. الرشيدي(خالد ابراهيم خنفر)، *حركات التمرد والعصيان في عصر دولة المماليك الشراكسة*، رسالة ماجستير، إشراف: د. أنور الخالدي، جامعة آل البيت، المملكة العربية السعودية، 2017م.

4. سليم(محمود رزق)، *عصر سلاطين المماليك ونتاجهم العلمي والأدبي*، المطبعة النموذجية، مصر، ط2، 1962.

5. طرخان (ابراهيم)، *مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1960م.

6. طقوش (محمد سهيل)، *تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام*، دار النفائس، بيروت، ط1، 1997م.

7. عبد السيد(حكيم أمين)، *قيام دولة المماليك الثانية*، تقديم: محمد مصطفى زيادة، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1966م.

8. عبد العظيم (إيمان مصطفى)، *العوام والسلطة الحاكمة في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة*، (784-923هـ/1382-1517م)، المجلة التاريخية المصرية، مصر، العدد خمسون، 2016م.

9. عمر (علي)، *دولة الظاهر برقوق وابنه في مصر*، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، ط1، 2008.

10. فوجو (محمد)، *طرائق وأساليب المماليك في القضاء على الثورات في مصر وبلاد الشام*، رسالة ماجستير، إشراف: د.غسان وشاح، الجامعة الاسلامية، غزة، 2018م.

11. قاسم(عبده قاسم)، علي(علي السيد)، *الأيوبيين والمماليك*، التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، د.ت.